البيوت التراثيّة في محافظة المثنّى
بيت الحاجّ عبد اللطيف عليّ محمّد أنموذجًا

Heritage Houses in Al-Muthanna Governorate: Haj Abdul-Lateef Ali Muhammad's House is a Sample

أ. م. د. لطيف تايه حسّون

جامعة القادسيّة ـ كلّيّة الآثار

Asst. Prof. Dr. Lateef Tayih Hassoon

University of Al-Qadisiyah/

College of Archeology

الملخّص

تبيّن من خلال دراسة بيت الحاجّ عبد اللطيف عليّ محمّد أنّه من البيوت التراثيّة المهمّة والفريدة التي ما زالت باقية، إن لم يكن هو البيت الوحيد المتبقّي في هذه المدينة، فقد ضمّ الكثير من العناصر التخطيطيّة والعماريّة التي ظهرت في البيوت التراثيّة العراقيّة التي تعود للمدّة نفسها، إذ تميّز بمدخله الفخم المزيّن بأنواع من الزخارف النباتيّة التي نفّذت بطريقة الصبّ بالقالب، كما تميّز بمدخله المنكسر، وقد توزّعت أغلب مرافقه الداخليّة حول الساحة الوسطيّة التي يمكن عدّها المتنفّس الوحيد لساكني البيت.

لقد ظهرت براعة المعمار المسلم في معالجة مشكلة المساحة في هذا البيت بأن اتّبع ظاهرة الانعزال التامّ من خلال عزل الضيوف عن ساكني البيت، إذ استخدم القسم الجنوبيّ من الطابق العلويّ مكانًا لاستقبال الضيوف، لكون مساحة البيت لا تسمح ببناء قسم خاصّ للضيوف وآخر للأسرة، كما عالج المعمار العراقيّ المسلم مشكلة المساحة من خلال بناء الغرف المعلّقة والسراديب؛ للاستفادة منها أكبر قدر ممكن، كما لجأ المعمار المسلم إلى استخدام الأخشاب بكثرة؛ وذلك لمعالجة مشكلة الوزن المسلّط على الطابق السفليّ، فضلًا عن دورها في عزل درجات الحرارة في فصل الصيف.

الكلمات المفتاحيّة: العمارة الإسلاميّة، التراث العماريّ، البيت التراثيّ، التراث العماريّ في السماوة.

Abstract

If it is not the only house remaining in this city. it is noteworthy to say that Haj Abdu-Lateef Ali Mohammad's house is one of the important and unique heritage houses that still exist. It includes many of the graphic and architectural elements that appeared in Iraqi heritage houses dating back to the same period. It was notable for its luxurious entrance. decorated with various types of flowery decorations accomplished using the mold-casting method. It was also distinguished by its refracted entrance. Most of its internal facilities were distributed around the central courtyard. which can be considered the only space for the residents of the house. In this house. the inventiveness of Muslim architecture emerged in dealing with the problem of space by following the phenomenon of complete separation. separating the guests from the residents of the house. He used the southern part of the upper floor as a place to receive guests because the space of the house did not allow for building a special section for the guests and another for the family. To benefit from it as much as possible. he also solved the problem of space by building hanging rooms and vaults. The Muslim architecture used much wood to

solve the problem of the weight placed on the downstairs. in addition to its role in insulating summer temperatures.

Keywords: Islamic architecture. architectural heritage. heritage house. architectural heritage in Samawah

المقدّمة

تُعدّ البيوت التراثيّة العراقيّة من أبرز المباني التراثيّة العراقيّة التي تعكس مدى براعة المعمار المسلم، وقدرته في معالجة مشكلة المساحة والظروف المناخيّة وموادّ البناء، وعلى الرغم من حاجة الإنسان إلى البيوت، وأهمّيّة بنائها، والاهتمام بتزيينها وزخرفتها، فإنّ أغلب تلك البيوت أُزيلت؛ لأنّ معظمها له أهميّة تجاريّة بسبب موقعها الحاليّ إذ بنيت في مراكز المدن، أو بسبب الإهمال وضعف مقاومة موادّ البناء للظروف الجويّة المتقلّبة؛ لذا فإنّ الباقي منها قليل. فمدينة السماوة اختفت أغلب بيوتها التراثيّة، وما بقي منها لا يتناسب مع تاريخ المدينة وأهمّيّتها الحضاريّة والتاريخيّة؛ لذا كان لزامًا علينا دراسة بعض البيوت ومعرفة تفاصيلها التخطيطيّة والعماريّة؛ لغرض الخروج بصورة واضحة عن طرز بناء البيوت في هذه المدينة، ومدى التشابه والاختلاف مع البيوت التي بنيت في العراق في المدّة التي بني فيها البيت. يتكوّن البحث من مقدّمة ولمحة مختصرة عن مدينة السماوة، وأهمّ البيوت التراثيّة فيها، ثمّ تناولنا تخطيط بيت الحاجّ عبد اللطيف وعمارته بشكل مفصّل، ثمّ أُردف البحث بملخّص لما تمّ التوصّل إليه من نتائج، فضلًا عن قائمة بالمصادر والمراجع التي تمّ اعتمادها في تأصيل بعض العناصر العماريّة أو الزخرفيّة.

السمات العامّة للبيوت التراثيّة:

تُعدّ عمارة البيوت السكنيّة واحدة من المنجزات الحضاريّة التي تعكس جانبًا مهمًّا من تطوّر حياة الإنسان، فضلًا عن الجانب العماريّ الذي تتميّز به تلك البيوت، وتعكس ما توصل إليه الإنسان من إمكانات وتطوّر[١].

كانت البيوت في بداية العصر الإسلاميّ في العراق بسيطة وكانت تُبنى من القصب والقشّ بكونها منازل مؤقّتة لإقامة الجند وأسرهم[٢]، وكانت البيوت تُبنى حول المسجد ودار الإمارة، وبعد استقرار المسلمين في المدن التي فتحوها استبدلت مادّة البناء من القصب إلى اللبن والطين بعد تعرّضها للحرائق[٣]، وكانت البيوت في بادئ الأمر بيوتًا بسيطة تتألّف من حجرتين أو ثلاث، وتكون من طابق واحد، تتوسّطه ساحة وسطيّة تحيط بها الحُجر[٤]، ولكن تطوّر بناء البيوت في العصر الأمويّ تطوّرًا كبيرًا[٥].

---

(١) السامرائي، مصطفى أحمد علي، البيوت السكنية في العصر الآشوري الحديث (٩١١ – ٦١٢ ق. م)مواقع منتخبة عن منطقة مشروع سد مكحول، مجلة آثار الرافدين، مج٦، ج١، ٢٠٢١م، ص١١٥.

(٢) فيصل، شكري، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٢م، ص٢٤٩.

(٣) عبده، عبد الله كامل موسى، المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، موسوعة العمارة الإسلامية، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م، مج١، ص١٣٥

(٤) خضير، فريال مصطفى، البيت العربي في العراق في العصر الإسلامي، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣م، ص١٦

(٥) حسن، زكي محمد، في الفنون الإسلامية، مطبوعات، ، دار الفكر مصر، ١٩٣٨م، ص١١.

لقد اهتمّ الأمويّون بالبناء والأعمار وما تزال الكثير من الشواهد العماريّة قائمة[١]، أمّا في العهد العبّاسيّ فتطوّر بناء البيوت، واستخدم العبّاسيّون في عمليّة البناء الآجرّ والجصّ بكثرة، وتميّز العصر العبّاسيّ بالإقبال على استخدام الجصّ لإكساء واجهات العمائر[٢]، وفي العصور الإسلاميّة اللاحقة بقي البيت العربيّ محافظًا على تخطيطه العامّ، وهو وجود ساحة وسطيّة تحيط بها أجزاء البيت المختلفة، واستمرّ ذلك حتّى نهاية الحكم العثمانيّ إذ أصبحت العمارة الحديثة تتّبع الذوق المحلّيّ السائد، أو ذوق المهندس المعماريّ بما يتلاءم مع الموادّ المتاحة له، وبسبب هذه التطوّرات الواسعة في الفنّ العماريّ كان لا بدّ أنّ تتأثّر عمارة البيوت، فحلّت في عمارتها الأساليب العلميّة والفنيّة والموادّ الحديثة محلّ الأساليب العماريّة القديمة[٣].

العناصر التخطيطيّة والعماريّة للبيوت التراثيّة في محافظة المثنّى

على الرغم من قلّة البيوت التراثيّة في محافظة المثنّى إلّا أنّ المتبقّي منها يمكننا من خلاله تكوين صورة مبسّطة عن تخطيط وعمارة تلك البيوت، ومنها بيت آلبو جعيلة، وبيت السيّد طفّار، وبيت آل عويّز، وبيت الحاجّ عبد اللطيف موضوع بحثنا، ويظهر أنّ تلك البيوت تشترك بمجموعة من العناصر التخطيطيّة والعماريّة وهي:

المدخل: يُعدّ من العناصر التخطيطيّة المهمّة في المباني التراثيّة، إذ يمثّل نقطة اتّصال

(١) محمد، غازي رجب، العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص١١.

(٢) حسن، فنون الإسلام، ص٥٤.

(٣) عويضة، محمد، تطور الفكر المعماري في القرن العشرين، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٢٠.

بين خارج المبنى وداخله[١].

المجاز: هو الجزء الرابط بين مدخل البيت والساحة الوسطيّة ويكون إمّا بشكل مزور أو بشكل مستقيم[٢].

الساحة الوسطيّة: تُعدّ الساحة الوسطيّة من العناصر التخطيطيّة المهمّة في المباني التراثيّة، وتعدّدت أسماؤها، فمنها: الصحن والباحة والحوش وغيرها، ويتراوح شكل الساحة ما بين المربّع والمستطيل[٣].

الحجر والغرف: الحجرة هي بيت يتّخذ من الحجارة أو ما أحيط بالحجارة، يسمّى حِجرًا[٤]، وتبنى أحيانًا من موادّ أخرى، وتكون الحُجر في الطابق الأرضّي، وتُعدّ الحُجر من أهمّ أقسام البيوت التراثيّة[٥]، أمّا الغرف فهي حُجر تبنى في الأدوار العلويّة من المبنى[٦].

---

(١) خضير، البيت العربي في العراق في العصر الإسلامي، ص١٠٧.

(٢) هلال، زينب عبد الله، أضواء على تفاصيل العمارة التراثية ومصطلحاتها، دار الجواهري، بغداد، ٢٠١٣م، ص١١-١٢.

(٣) خضير، البيت العربي في العراق في العصر الإسلامي، ص ١١٠.

(٤) الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القران، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٢٢٠.

(٥) خضير، البيت العربي في العراق في العصر الإسلامي، ص١١١.

(٦) رزق، عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م ص٢١١.

الدرج: هو ما يرتقى عليه، سواء أكان من خشب أم حجر أم مدر[١]، وهو حلقة وصل بين الطابق الأرضيّ والطابق العلويّ، ويتألّف الدرج من (درجات، واستراحة الدرج، وسياج)[٢].

بيت الحاجّ عبد اللطيف عليّ محمّد في مدينة السماوة

الموقع والتاريخ:

يقع بيت الحاجّ عبد اللطيف عليّ محمّد في مدينة السماوة[٣]، مركز محافظة المثنى في الصوب القديم بالقرب من السوق القديم في (عگد النجّارين)، ويعود تاريخ بنائه

(١) البستاني، فؤاد فرام، منجد الطالب، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٧م، ص٩٨.

(2) Elastal، ahmed، Stairs design، Institute of Design Graphics، 2008، p.9-10.

(٣) السماوة: تقع مدينة السماوة الى الجنوب من العاصمة بغداد على بعد (٢٨٢كم) وعن مدينة البصرة (٣٣٣كم)، وتحدّها محافظتي البصرة وذي قار والحدود العراقيّة الكويتيّة من جهة الشرق، ومحافظة الديوانية وذي قار من جهة الشمال، وبادية النجف والحدود العراقيّة السعوديّة من جهة الغرب. وهي مركز محافظة المثنّى، كانت تابعة للواء الديوانيّة حتّى سنة ١٩٦٩، إذ صدر مرسوم جمهوريّ باعتبارها محافظة لوحدها، أمّا تسمية السماوة فيظهر أنّ التسمية تعني الأرض المستوية التي لا حجر فيها، ويذكر أنّ تسمية ماء السماء أمّ النعمان نسبة الى هذا الموضع القريب من مدينة السماوة الحاليّة، للمزيد ينظر: الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٧٧، ج٣، ص٢٤٥. بابان، جمال، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، بغداد، مطبعة الأجيال، ١٩٨٩، ج١، ص١٦١. الحسني، عبد الرزاق، العراق قديمًا وحديثًا، بيروت، دار الرافدين، ٢٠١٣، ص١٥٦. الميالي، رجوان فيصل، أسوار السماوة في العصرين العثماني والبريطاني، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، المجلد ١٦، العدد الأول، ج١، ص٢٠٥-٢٠٦.

إلى العشرينيّات من القرن الماضي، باني البيت الحاجّ عليّ محمّد العيسى شكر وهو أحد الوجهاء المعروفين في المدينة، كان يعمل بالتجارة[1]، وتعود ملكيّته في الوقت الحالّي لأحد أبنائه وهو السيّد عبد اللطيف عليّ محمّد، والبيت في وضع عماريّ جيّد؛ نتيجة لاهتمام مالكه به، إذا اتبع في صيانته وترميمه الطرق العلميّة الدقيقة في إدامته وتدعيم ما يحتاج إلى صيانة، وما يزال البيت يحتفظ بالكثير من أثاثه وأدواته حتّى الوقت الحاليّ.

اتّخذ البيت تصميمًا مستطيلًا، شغل بها مساحة مستطيلة الشكل تبلغ (١٩٦م٢)، وهو مكوّن من طابقين، فضلًا عن السرداب، استُخدم في بنائه الآجرّ والجصّ فضلًا عن الأخشاب والروافد الحديديّة في بعض أجزائه، وتراوح سمك جدرانه بين (٠,٥٠ – ٠,٨٠م)، وسوف نتناول تفاصيل البيت بشكل مفصّل فيما يلي.

الواجهة الخارجيّة:

تطلّ الواجهة الخارجيّة للبيت على الاتجاه الجنوبيّ، ويبلغ طولها (١٤م)، وارتفاعها يصل إلى (٨م)(لـوح ١)، ضمّت مدخلًا[2] (لوح ٢)، يقع وسط دخلة مستطيلة

(١) مقابلة شخصيّة مع السيّد عبد اللطيف عليّ محمّد يعمل معلّماً سابقًا، يبلغ من العمر (٨٠) سنة، والده كان صاحب البيت، والآن ملكيّته تعود له، تاريخ المقابلة ١٧/ ٣/ ٢٠٢٣.

(٢) المدخل: يعدّ المدخل أحد الأجزاء المهمّة في المباني، وهو نقطة الاتّصال بين داخل المبنى وخارجه، وهو موضع الدخول للمبنى، ويتكون المدخل من عتبة عليا (اسكفة) وعتبة سفلى (ساكف) وعضادتين على الجانبين، ويعدّ المدخل أحد أضعف الأجزاء في المباني سواء العسكريّة منها والسكنيّة؛ لذا عمد الإنسان إلى تغطّية فتحته باب سواء من الخشب أو الحديد. للمزيد ينظر: خسارة، معجم الكلمات المصطلحية في لسان العرب، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ت، ص٣٧٠. الآلوسي، محمود شكري، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، القاهرة، دار الكتاب المصري، د. ت، ج ٣، ص ٣٩٦. علي، فاروق محمد، الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة العربية الإسلامية في

الشكل متوّجة بعقد مدبّب محوّر الشكل أبعاده (٢×٤م)، أمّا العقد فتبلغ أبعاده (٥, ١×٥, ٣م)، ويرتكز على عمودين مدمجين بالجدار، يغطّي فتحته باب خشبيّ مكوّن من مصراعين أبعاده (٣٠, ١×١٠, ٢م)، باطن العقد مزيّن بصفّ من حبّات اللؤلؤ (حبّات المسبحة)، وزينت المنطقة المحصورة بين أعلى المدخل وتاج العقد بأن تتوسّطها زهريّة، يخرج منها أوراق نباتيّة، فيما التفّ جانبا الزهريّة ليتّصل من الأسفل في كلّ جهة بمروحة نخيليّة، اكتنفت زهرة متعدّدة البتلات الملتوية، واستقرّت على الزهريّة دائرة فيها فتحة صغيرة عليها قضبان حديد؛ لغرض الإضاءة والتهوية، وأحيطت بحبّات اللؤلؤ (حبّات المسبحة)، فيما خرج من رأس الزهرية وعلى جانبي الدائرة غصن انتهى بورقة جناحيّة، ويرتكز العقد على عمودين مدمجين بالجدار يبلغ ارتفاع كلّ منهما (٥, ٢م)، ومحيط كلّ منهما بلغ (١م)، وزيّن بدن كلّ منهما بزخارف عبارة عن أوراق نباتيّة محوّرة، وورود مكوّنة من أربع بتلات ذات شكل رمحيّ محوّر، لينتهي كلّ عمود من الأعلى بتاج بسيط عبارة عن حلقة أو عقال زين بزخارف نباتيّة.

أمّا كوشتا العقد فزيّنتا بزخارف، تمثّلت بفروع نباتيّة ملتويّة، ويحيط بالعقد من الأسفل والأعلى الأعمدة شريط من الدوائر المتجاورة (حبّات اللؤلؤ أو المسبحة)، واجهة الطابق السفليّ خالية من الزخارف والنوافذ، سوى نافذتين تقعان في أعلى الجدار وأسفل سقف الطابق الأرضيّ، وقد أضيف حديثًا شكل شنشول[1] خشبيّ

العراق حتى نهاية العصر العباسي، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦، ص ١١٦.

(١) الشناشيل: كلمة فارسيّة مكوّنة من مقطعين (شاه) بمعنى الملك و(نشين) بمعنى مجلس، وبهذا تكون مجلس الملك، وهي حلّ عماريّ لمشكلة مناخيّة وعماريّة واجتماعيّة؛ من أجل المحافظة على حرمة سكنة البيت، ومنع الإشراف عليهم من البيوت المجاورة، وهي عبارة عن بروز بنائيّ يرتكز على مساند تثبت في جدران الطابق الأرضيّ، ومن خلالها تضاف مساحة أكبر للطابق

على هيئة الشناشيل التي تتقدّم الطابق العلويّ.

أمّا واجهة الطابق العلويّ فيتقدّمها بروز بنائيّ بحدود المتر، يرتكز على مجموعة من المساند الحديديّة؛ بغرض الثبات والتقوية، وبُني جزء من واجهة الطابق العلويّ من الأخشاب والآجر، فضلًا عن استخدام الزجاج الملوّن باللون الأخضر والأزرق والأحمر المصفرّ.

الطابق الأرضيّ (مخطّط ١):

يؤدّي المدخل إلى مجاز[١] من النوع المنكسر، وهو مستطيل الشكل أبعاده (٢×٣م)

العلويّ. للمزيد ينظر: العسكري، أبو هلال، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق عزة حسن، دمشق، مطبعة مجمع اللغة العربية، ١٩٦٩، ج ١، ص٢٦٢. الحلبي، طويبا العنيسي، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، ط٢، مصر، ١٩٣٢، ص٣١. القصيري، اعتماد يوسف، الخصائص التخطيطية والعمارية للبيت البغدادي خلال فترة الحكم العثماني، بيروت، مؤسسة مصر مرتضى للنشر، ٢٠١٢، ص٣٠. الياور، طلعت، الرواشن (الشناشيل) في عمارة البيت العراقي، وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠١، ص١٦٢.

(١) المجاز: هو الممرّ أو المعبر بين باب البيت والساحة الوسطيّة، وتختلف أشكاله ومساحته من بيت وآخر، وهو ما يحدّد نوع المدخل سواء أكان المدخل مستقيمًا أم منكسرًا، وقد ظهر في المباني منذ القدم، ويحتلّ المجاز أهمّيّة عماريّة فضلًا عن أهمّيّته الوظيفيّة المتمثّلة في حماية ساكني البيت من أعين المارّة في حال كان باب المدخل ينفتح مباشرة على وسط الدار، ويحتلّ أهمّيّة في معالجة مناخيّة، تمثّلت في صدّ التيّارات الهوائيّة الباردة في فصل الشتاء أو إيقاف العواصف المحمّلة بالأتربة من الدخول إلى وسط البيت: للمزيد ينظر: الدراجي، حميد محمد حسن، البيت العراقي في العصر العثماني عناصره العمارية والزخرفية، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٨، ج ٢، ص٥٠. حمودي، خالد خليل، «العمارة البغدادية ومعالجة الظروف المناخية، ندوة العمارة والبيئة»، بغداد، منشورات المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠١، ص ٩٤. =

سقفه مستوٍ (لوح ٣)، ضمّ هذا المجاز على يسار الداخل مدخل عليه باب خشبيّ من مصراع واحد أبعاده (٨٠ , ٠×٩٠ , ١م) يؤدّي إلى درج مكوّن من (١٦) درجة أبعاد الدرجة الواحدة (٥٢ , ٠×٢٧ , ٠×١م)، وهو من النوع المستدير يوصل إلى الطابق العلويّ الخاصّ بقسم الضيوف، وينتهي هذا الجزء من المجاز بمدخل آخر أبعاده (١×٢م) عليه باب خشبيّ من مصراع واحد، يؤدّي إلى الجزء الثاني من المجاز وأبعاده (٥ , ١×٢٠ , ٣م)، يفتح على هذا الجزء من جهة الغرب مدخل أبعاده (١×٢م) عليه باب خشبيّ من مصراع واحد أبعاده (٩٠ , ٠×٩٠ , ١م)، يؤدّي إلى حجرة الكنيف[١] (رقم ١) أبعادها (٥٠ , ١×٥٠ , ١م).

وبجانب حجرة الكنيف يوجد مدخل أبعاده (١×٢م)، يؤدّي إلى درج مكوّن من (٧) درجات، قياس الدرجة الواحدة على غرار أبعاد درجات الدرج السابق، يؤدّي هذا الدرج إلى الغرفة[٢] المعلّقة (رقم ٢) وهي عبارة عن حجرة معلّقة (كفشكان)[٣]، إذ

Krunic. Jovan . Art Architectural Traditions and New Architecure of Iraq. = The House of Baghdad its Old and Modern Concept . Sumer . Vol . 18 . 1962 . p4.

(١) الكنيف: تطلق تسمية الكنيف على المرحاض في الطابق الأرضي، أمّا إذا كان في الطابق العلويّ فيسمّى كرباس، والتسمية لغويًّا من قولهم: اكتنفوا كنيفا سمّي بذلك لستره، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ)، المخصص، القاهرة، ١٩٠٣، ج٥، ص ١٣٦.

(٢) الغرف: وهي حجرة تبنى في الطابق العلويّ من الدار أو ما فوقها، وهي مصداق لقوله تعالى في القرآن الكريم ((وهم في الغرفات آمنون)). للمزيد ينظر: رزق، عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠، ص ٢١١.

(٣) الكفشكان: غرفة صغيرة معلّقة في الجزء الأعلى من الطابق الأرضّي أرضيّتها مبنيّة من الخشب أو الآجرّ، يتمّ الصعود إليها بواسطة درج، تمتاز هذه الغرفة بأنّها تطلّ على الساحة الوسطيّة بنافذة واحدة أو أكثر. للمزيد ينظر: عبد الرسول، سليمة، المباني التراثية في بغداد دراسة ميدانية =

ترتفع عن مستوى الأرض بحدود المترين (لوح ٤)، أبعادها (٥ , ٣×٥ , ٣م)، ويرتفع سقفها بحدود (٢م) وسقفها معمول من الألواح الخشبيّة والحصر، وتفتح هذه الغرفة على الساحة الوسطيّة من جهة الشرق بثلاث نوافذ أبعاد الواحدة (٥٧ , ٠×٤٠ , ٠م) (لوح ٥)، أمّا المجاز فينتهي على الساحة الوسطيّة بمدخل أبعاده (١×٢٥ , ٢م).

الساحة الوسطيّة:

تشغل الساحة الوسطيّة[١] مساحة بلغت أبعادها (٧٥ , ٥×٥٠ , ٩م)، تطلّ عليها الأبنية من جهاتها الأربع، فضلًا عن ذلك ضمّت الساحة الوسطيّة بئرًا لها فتحة مستطيلة الشكل أبعادها ٣٠ , ٠×٧٠ , ٠م)، نُصبت على فتحته عتلة مرتبطة بحبل ودلو، كان من خلالها يستخرج الماء (لوح٦)، لكن في الوقت الحالي نُصب عليها مضخّة صغيرة لسحب المياه، أمّا أرضيّة الساحة الوسطيّة فقد رُصفت بالبلاطات أبعاد الواحدة منها (٢٠ , ٠×٢٠ , ٠×٥ , ٠م) (لوح ٧)، وسوف نتناول المبنى بشكل مفصّل.

= لجانب الكرخ، بغداد، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٧، ص٦٢.

(١) الساحة الوسطيّة: تعدّ الساحة الوسطيّة أحد العناصر التخطيطيّة في المباني بشكل عامّ والبيوت بشكل خاصّ، وقد ظهرت في التنقيبات الأثريّة في البيوت منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، واستمرّ استخدامها في العصر الإسلاميّ، وكذلك في المباني التي بنيت في العصر العثمانيّ والعهد الملكيّ، وعلى الرغم من اختلاف التسميات التي أطلقت عليها، لكنّ المقصود واحد، إذ تسمّى الساحة أو الباحة، والعرصة والصرحة والقارعة والصحن وحرّ الدار وعقرها والفناء والحوش، للمزيد ينظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، دار الوراق، د.ت، ج ١، ص٦٠. مصطفى، فريال، البيت العربي في العراق في العصر الإسلامي، بغداد، دار الحرية، ١٩٨٣، ص٦٩–٧٢. محمد، رفعت موسى، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية للنشر، ١٩٩٣، ص٢٢٣–٢٢٥.

الضلع الجنوبيّ:

يتكوّن هذا الضلع من حجرتين، فضلًا عن المدخل والمجاز الذي يليه واللذان تناولناهما قبل قليل، أمّا الحجرتان فيتقدّمهما طارمة، ترتكز على عمودين مدمجين بالجدارين الشرقيّ والغربيّ (لوح ٨)، وهما ذاتا مقطع نصف أسطوانيّ أبعاد الطارمة بلغت (٥,٢×٥م)، زُيّن بدن العمودين ومقدّمة الطارمة من الأعلى بمجموعة من العناصر الزخرفيّة، إذ زُيّن بدن كلّ عمود من الأعمدة بزخارف نباتيّة منفّذه بطريقة الصبّ بالقالب، قوامها فروع نباتيّة تخرج منها أوراق كبيرة الحجم، فضلًا عن المراوح النخيليّة، أمّا مقدّمة الطارمة فزُيّنت بإفريز من الزخارف النباتيّة، تمثّلت بزهرة احتضنتها عن كلّ جانب مروحة نخيليّة منحنية، يمتدّ غصنها في الأسفل ليتّجه عن الجانبين، فيتقاطع مع الشكل المجاور له والمماثل له، ويتجه نحو الأعلى ليلتقيا، فتتدلّى منهما ورقة عنب ثلاثيّة الفصوص امتدّت على كلّ جانب منها ورقة جناحيّة.

الحجرة الأولى في هذا الضلع (رقم ٣) تقع من جهة الغرب، لها مدخل متوّج بعقد منبطح[١]، أبعاد المدخل (١×٥,٣م)، ويغطي فتحة المدخل باب خشبيّ من مصراعين أبعاده (٩٠,٠×٢م)، تعلوه نافذة خشبيّة مكسوّة بألواح الزجاج الشفّاف أبعادها (٩٠,٠×١م)، وزُيّن باطن العقد بزخارف نباتيّة، تمثّلت بغصنين تقاطعا في

(١) العقد المنبطح: أحد أنواع العقود التي شاع استخدامها في العمارة العراقيّة القديمة والإسلاميّة وصولًا إلى العصر العثمانيّ والملكيّ، ويسمّى بالمنخفض أو العقد العاتق؛ لكونه يعتق ما تحته، شاع ظهوره يتوّج المداخل والنوافذ في العمائر. للمزيد ينظر: الحداد، محمد حمزة إسماعيل، دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنقوش الآثارية والنصوص الوثائقية والتاريخية، ط ٣، القاهرة، زهراء الشرق، ٢٠٠٨، ص ٩٤. المعاضيدي، عادل عارف، الواجهات الفنية والعمارية للدور التراثية في الموصل، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص ١٢٣.

الأعلى، وانتهى كلّ منهما بثلاث أوراق كبيرة، تدلّى منها عنصر الأوراق البصليّة، وشكل تقاطع الغصنين شكل بيضويّ، احتضن داخله عنصرًا زخرفيًّا، تمثّل بعنصر الكأس ذي الشكل البصليّ المعرّق، ويتوّج الزخرفة والعقد شكل التاج[1]، والذي يرمز للعهد الملكيّ في العراق (لوح ٩).

وعلى يمين المدخل نافذة واحدة متوّجة بعقد منبطح أبعادها (١×٧٥, ٢م)، يغطّي فتحتها شبّاك خشبيّ أبعاده (٩٠, ٠×٢م) مكوّن من قسمين: الأعلى منهما وهو أكبر حجمًا مكسوّ بألواح الزجاج الشفّاف، أمّا الجزء الأسفل منه فمكسوّ بألواح الخشب، يُفتح الشبّاك ويُغلق من خلال عمليّة الانزلاق للأعلى والأسفل، وزُيّن باطن عقد النافذة بزخارف على هيئة الزخارف التي تزيّن باطن العقد الذي يتوّج مدخل هذه الحجرة.

وعلى يسار المدخل توجد نافذتان على غرار النافذة السابقة لكنّهما أصغر حجمًا أبعاد كلّ منهما (٨٠, ٠×٧٥, ٢م)، يغطّي كلًّا منهما شبّاك خشبيّ على غرار شبّاك النافذة السابقة، كما زُيّن باطن العقد بزخارف نباتيّة تشبه الزخارف التي تزيّن باطن العقد الذي يتوّج مدخل هذه الحجرة، أمّا أبعاد الحجرة فبلغت (٥, ٢×٥م) وارتفاع سقفها يصل إلى (٥, ٣م)، استخدمت الأخشاب والحصر في تسقيفها، أمّا أرضيتها فقد رصفت بالبلاطات، أبعاد الواحدة منها على غرار البلاطات التي رصفت بها الساحة الوسطيّة.

أمّا الحجرة الثانية في هذا الضلع (رقم ٤) غتقع إلى الشرق من الحجرة السابقة، لها

(١) حملت الكثير من المباني التراثيّة التي بنيت بين سني (١٩٢١-١٩٥٨) شكل التاج، وهو يرمز إلى العهد الملكيّ الذي حكم العراق في تلك المدّة ؛ ولكونه يمثّل شعار الدولة العراقيّة. للمزيد ينظر: اللامي، علاء حسين جاسم، المباني التراثية البغدادية (١٣٣٩-١٣٧٧هـ/ ١٩٢١-١٩٥٨م) (القصور والدور)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٥، ص٤٢.

مدخل يشبه مدخل الحجرة الأولى في هذا الضلع، أمّا أبعادها فبلغت (٥ , ٢×٥٠ , ٤م)، وضمّ جدارها الشرقيّ على حنية أبعادها (٦٠ , ٠×٨٠ , ٠م)، وعمقها (١٥ , ٠م)، وترتفع عن مستوى أرضيّة الحجرة (٧٥ , ٠م)، ويلاحظ وجود فتحة وسط هذه الحنية من الأعلى، إذ يظهر أنّها كانت عبارة عن أنبوب يتّصل ببادكير[١]، يمرّ من خلاله الهواء إلى وسط الحجرة، إذ تخلو هذه الحجرة من النوافذ التي تطلّ على الساحة الوسطيّة.

الضلع الشرقيّ:

يتكوّن هذا الضلع من حجرتين يفصل بينهما درج يؤدّي إلى الطابق العلويّ (لوح ٩)، الحجرة الأولى من جهة الجنوب (رقم ٥) لها مدخل يطلّ على الطارمة التي تتقدّم الضلع الجنوبيّ أبعاده (١×٢٥ , ٣م)، متوّج بعقد منبطح يغطّي فتحته باب خشبيّ من مصراعين، وزُيّن باطن العقد بزخارف نباتيّة على غرار الزخارف السابقة التي تزيّن باطن العقود التي تعلو المداخل، وعلى يمين المدخل نافذة أبعادها (١×٧٥ , ٢م)، يغطّي فتحتها شبّاك خشبيّ مكوّن من قسمين يشبه الشبابيك السابقة، وزُيّن باطن العقد بزخارف نباتيّة على غرار الزخارف السابقة، أمّا مساحة الحجرة فبلغت (٥٠ , ٣×٥٠ , ٣م)، ضمّ جدارها الشرقيّ المواجه لمدخل هذه الحجرة حنية متوّجة بعقد نصف دائريّ، أبعادها (١×٢٥ , ١م) وعمقها (٣٠ , ٠م) (لوح١٠)، وفتح في جدارها الشماليّ (جام خانة)[٢]، تقع أسفل الدرج المجاور لهذه الحجرة

(١) البادكير: وجمعها (بادكيرات) كلمة فارسيّة مكوّنة من (باد) أي الهواء و(كير) بمعنى جالب، فيكون المعنى جالب الهواء ، وهو عبارة عن مجرى، أو ممرّ في سمت الجدار يجلب الهواء من أعلى المبنى للسرداب أو لحجر المبنى. للمزيد ينظر: الحنفي، جلال الدين، معجم اللغة العامية البغدادية، بغداد، مطبعة أسد، ١٩٦٦، ج٢، ص٢٠.

(٢) الجام خانة: خزانة جداريّة تبنى في سمت الجدار، تسدّ فتحتها بباب من الخشب أو الزجاج،

أبعادها (١×٢٥ ,١م)، لها باب خشبيّ مكوّن من مصراعين، كانت تحفظ بها الحاجات الخاصّة بساكني الحجرة.

وبجوار الحجرة السابقة يوجد مدخل متوّج بعقد منبطح أبعاده (١×٥٠ ,٣م)، يغطّي فتحته باب خشبيّ، كما زُيّن باطن العقد بزخارف نباتيّة على غرار زخارف بواطن العقود السابقة، أمّا الدرج فمكوّن من (١٥) درجة، أبعاد الدرجة الواحدة (٢٠ ,٠×٣٠ ,٠×٩٠ ,٠م)، والدرج ليس على استقامة واحدة، اذ يستدير الصاعد منه الى جهة اليسار حتّى يبلغ السطح، وعند استدارة الدرج يواجه الصاعد مدخلًا صغيرًا يؤدّي إلى غرفة معلّقة (رقم ٦)، وهي عبارة عن كفشكان (لوح ١٢)، يؤدي لها مدخل أبعاده (١×٢م) يغطّي فتحته باب خشبيّ أبعاده (٩٠،٠×٩٠،١م)، مكوّن من مصراع واحد، أمّا مساحة الغرفة فبلغت (٧٥ ,٢×٣م)، وتفتح هذه الغرفة على الساحة الوسطيّة بثلاث نوافذ، اثنتان منهما بلغت أبعادهما (١×٧٥ ,٢م)، توّج كلّ منهما بعقد منبطح، وزُّين باطن العقد بزخارف نباتيّة تشبه زخارف بواطن العقود السابقة، أمّا أبعاد الشبّاك الذي يغطّي كلًّا منهما فبلغ (٨٠ ,٠×٥٠ ,١م)، وكلّ شبّاك منهما مكوّن من قسمين الأعلى منهما مكسوّ بألوان الزجاج الشفّاف، أمّا النافذة الثالثة فأبعادها على شاكلة النوافذ السابقة، لكنّها أكبر حجمًا إذ بلغت أبعادها (١×٥٠ ,١م)، وهي متوّجة بعقد منبطح شبيه بالعقود السابقة.

وأسفل الغرفة السابقة تقع الحجرة (رقم ٧)، وهي عبارة عن حجرة منخفضة أو

تستخدم لحفظ أثاث وملابس سكنة البيت. للمزيد ينظر: البزركان، رفعت رؤوف، معجم الألفاظ الدخيلة في اللهجة العراقية الدارجة، بغداد، مطبعة الأمراء، ٢٠٠٠، ص٥٣.

سرداب[1] من نوع (نيم سن)[2]، لها مدخل أبعاده (١×٢م)، عليه باب خشبيّ مدعم بالمصبّعات الحديديّة، أمّا أبعاد هذه الحجرة فبلغت (٢,٧٥×٣م)، كانت تستخدم مطبخًا، إذ ما تزال بقايا التنّور والموقد ماثلة للعيان (لوح ١٣)، وفتح في أعلى التنّور مجرى هوائيّ، يخرج من خلاله الدخان خارج المطبخ.

الضلع الشماليّ:

يتقدّم الضلع الشماليّ طارمة صغيرة أبعادها (٢×٤م)، ترتكز على كابلين[3] مستندين

(١) السرداب : كلمة فارسيّة مكوّنة من مقطعين هما (سرد) بمعنى بارد و(اب) بمعنى الماء، وبهذا يكون معناه الماء البارد، يرجع ابتكاره للعمارة العراقيّة القديمة، واستمرّ استعماله حتّى العصر الإسلاميّ، وصولًا إلى العصر العثمانيّ والملكيّ. للمزيد ينظر: لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الأحمد، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٠، ص ٢١٥ .المختار ، فريال داود ، «السرداب العراقي»، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد ، ١٩٧٦، عدد ٢٠، ص ٤٤١ .

(٢) سرداب (النيم سن): وهو أحد أنواع السراديب التي يكثر استخدامها في البيوت، إذ يكثر في المناطق الوسطى والجنوبيّة من العراق، والمناطق ذات المياه الجوفيّة القريبة من سطح الأرض، يكون قليل العمق (أي نصف العميق) ويكون مستواه تحت الأرض بحدود متر واحد، ويكون سقفه مرتفعًا فوق الأرض بحدود متر واحد، وبهذا يكون ارتفاع سقفه مترين تقريبًا. للمزيد ينظر: رويتر، أوسكار، البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية أخرى، ترجمة محمود كبيبو، لندن، دار الوراق، ٢٠٠٦، ص٣٠-٣١. هلال، زينب عبد الله، البيوت التراثية في محافظة البصرة (دراسة ميدانية/ عمارية وفنية)، بغداد، ٢٠١٢، ص٨٩. حسون، لطيف تايه، تخطيط وعمارة القصور التراثية في وسط وجنوب العراق حتى نهاية العهد الملكي ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، أطروحة دكتوراه (غير منشوة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٩، ص٥٤.

(٣) الكابل: يعرّف عماريًّا بأنّه بروز من الحجر أو الخشب أو من الآجرّ أو الحديد، يبنى خارجًا عن سمت الجدار؛ ليكون بمثابة دعامة تحمل البناء الذي يعلوه، سواء أكانت شرفات أم ظلات أم غرف، واستخدمت الكوابيل لتحمل القراميد البارزة فوق المداخل والنوافذ، وظهرت أسفل=

على الجدار الشرقيّ والغربيّ (لوح ١٤)، وزُيّن بدن كلّ من الكابلين بزخارف نباتيّة عبارة عن أوراق نباتيّة وأنصاف مراوح نخيليّة؛ لينتهي كلّ من الكابلين من الوسط بشكل كمّثريّ، فضلًا عن ذلك يتقدّم الجدار الشرقيّ بمقدار (٢م) عن مستوى الحجر المجاورة، إذ عمل المعمار على استغلال واجهة هذا الجزء بإنشاء رفوف عددها أربعة، أبعاد الواحد منها (٠,٢٥×٠,٢٥م)، ويعلو الرفّ لوحة زخرفيّة يتوسّطها شكل عنصر الكأس بهيئة بصليّة يتدلّى من طرفيه برعم نباتيّ، واكتنف هذا العنصر عن جانبيه أغصان ملتوية، انتهت من أسفلها بثلاث أوراق كبيرة، وانحصر بين العنصر الكأسيّ والأغصان الملتوية على الجانبين ثلاثة أعمدة صغيرة، توّج كلّ واحدة منها بعنصر المحّارة، لتنتهي هذه اللوحة الزخرفيّة من الأعلى بشريط من زخرفة أسنان المنشار الناتجة عن التلاعب في رصف الآجرّ (لوح ١٥)، فضلًا عن ذلك زُيّنت واجهة الطارمة من الأعلى بإفريز من الزخارف النباتيّة يشبه الإفريز الذي يعلو واجهة الطارمة في الضلع الجنوبيّ.

أمّا حُجر هذا الضلع فقد احتوى على حجرتين أوّلهما من جهة الشرق الحجرة (رقم ٨) لها مدخل متوّج بعقد منبطح أبعاده (١×٣,٥٠م)، وزُيّن باطن العقد بزخارف نباتيّة على شاكلة الزخارف النباتيّة في باطن العقود السابقة، ويغطّي فتحة المدخل باب خشبيّ من مصراع واحد أبعاده (٠,٩٠×٢م)، ويعلو الباب شبّاك خشبيّ مكسوّ بألواح الزجاج الشفّاف، وعلى يمين الداخل إلى هذه الحجرة توجد نافذتان توّج كلّ منهما بعقد منبطح، وزُيّن باطن العقد بزخارف نباتيّة على غرار الزخارف السابقة، أمّا أبعاد النافذة الواحدة فبلغت (٠,٦٠×٢,٧٥م)، يغطّي كلًّا منهما شبّاك خشبيّ مكوّن من قسمين أبعاد كلّ منهما (٠,٥٠×٢م)، يفتح كلّ

= الكمرات في الزوايا القائمة مع الزوايا. للمزيد ينظر: رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص٢٤٨.

منهما بطريقة الانزلاق للأعلى والأسفل، أمّا أبعاد هذه الحجرة فبلغت (٣×٨م) وزُيّن جدارها الشماليّ بحنيتين توّج كلّ منهما بعقد نصف دائريّ، أبعاد الواحدة منهما (٠,٧٥×٠,٣٠×١م)، وعمق كلّ منهما (٠,١٥ م) وترتفع كلّ منهما عن مستوى أرضيّة الحجرة (٠,٥٠ م) (لوح ١٦).

أمّا الحجرة (رقم ٩) فلها مدخل أبعاده تماثل أبعاد مدخل الحجرة السابقة (رقم ٨)، أمّا أبعادها فبلغت (٣×٥,٤ م)، ضمّ جدارها الشماليّ ثلاث حنايا، أبعاد اثنتين منهما (٠,٧٥×٠,٣٠×١م)، وعمق كلّ منهما (٠,١٥ م)، ويرتفع كلّ منهما عن مستوى أرضيّة الحجرة (٠,٥٠ م)، أمّا الحنية الثالثة فتتوسّط الحنيتين السابقتين، وتبلغ أبعادها (٠,٣٠×٠,٣٠×١م)، وعمقها وارتفاعها على غرار الحنيتين السابقتين.

الضلع الغربيّ:

احتوى الضلع الغربيّ على ثلاثة مداخل: أحدها يؤدّي إلى حجرة، أمّا المدخلان الآخران فأوّلهما يؤدّي إلى الدرج المؤدّي للطابق العلويّ، أمّا الثاني فيؤدّي إلى حجرة السرداب (لوح ١٧ و١٤)، وسوف نتناول عمارة هذا الضلع بشكل مفصّل.

من جهة الشمال فُتح مدخل أبعاده (١×٢م)، تعلوه حنية أبعادها (٠,٧٥×١م) وعمقها (٠,٢٥م)، فتح في وسطها ثلاث فتحات تؤدّي إلى دخلة أبعادها (١×١م)، ويعلو هذه الدخلة زخرفة نباتيّة منفّذة بطريقة الصبّ بالقالب، قوامها زهريّة يتفرّع منها فرعان نباتيّان ملتويان، ينتهي كلّ منهما بمروحة نخيليّة، وتوّج كلّ فرع من الفرعين بورقة الأكانتس، ويتوّج هذه الزخرفة شكل التاج، ونعود إلى الدرك المؤدّي لحجرة السرداب، فهو مكوّن من (٩) درجات أبعاد الدرجة الواحدة (٠,٢٠×٠,٣٠×١م)، يستدير النازل منه إلى اليسار حتّى يصل لمدخل أبعاده (١×٢م)، الذي يؤدّي إلى حجرة

السرداب (رقم ١٠)، والسرداب من نوع (السن)[١] أبعاده (٥٠ ,٣×١٠ ,٤م) وارتفاع سقفه (٥٠ ,٢م) (لوح ١٨)، فتح في جدارها الشرقيّ نافذتان، أبعاد كلّ منهما (٥٠ ,٠×٧٠ ,٠م)، ولكلّ منهما مجرى مائل، ليفتح كلّ منهما في وسط الساحة الوسطيّة (لوح ١٩)، وفتح في جدارها الجنوبيّ حنية متوّجة بعقد نصف دائريّ، أبعادها (٧٥ ,٠×٧٥ ,٠م) وعمقها (٥ ,١م)، رصفت أرضيّة السرداب وجدرانه بالآجرّ الفرشيّ المربّع، أبعاد كلّ واحدة (٢٥ ,٠×٢٥ ,٠×٥ ,٠م)، أمّا سقف حجرة السرداب فسقفت بالعقادة، وهو الجزء الوحيد في البيت الذي استخدمت فيه الروافد الحديديّة، وعمد المعمار إلى رصف الآجرّ في السقف بطريقة هندسيّة؛ لينتج منها زخرفة حصيريّة، ويظهر أنّ سبب بناء هذا السرداب بهذا العمق أنّه استخدم لسكن الأسرة في أوقات الصيف الحارّ، في حين تميّز السرداب الأوّل بأنّه غير عميق؛ لكونه استخدم لغرض الطبخ أو بناء التنّور.

أمّا المدخل الثاني فأبعاده (٩٠ ,٠×٥٠ ,٣م)، وهو متوّج بعقد منبطح وزُيّن باطن العقد بزخارف نباتيّة، ويغطّي فتحة المدخل باب خشبيّ من مصراع واحد، والدرج مكوّن من (١٢) درجة، أبعاد الدرجة الواحدة (٢٠ ,٠×٤٠ ,٠×٨٠ ,٠م) والصاعد منه يستدير لليسار حتّى يصل لسطح الطابق الأرضيّ.

أمّا الحجرة (رقم ١١) وهي الحجرة الوحيدة في هذا الضلع فلها مدخل على غرار مدخل الحجرة (رقم ٣)، وعلى يمين المدخل نافذتان، يتوّج كلّ منهما عقد

(١) سرداب (السن): نوع من أنواع السراديب يكون أكثر عمقًا من سرداب (النيم سن)، يصل مستواه تحت الأرض لأكثر من مترين، ظهر في الكثير من المباني التراثيّة لا سيّما المباني التي تقع في المناطق الوسطى والشماليّة، وله استخدامات عدّة، منها الراحة : للمزيد ينظر: حسن، حميد محمد، « العناصر المعمارية في البيت العراقي»، مجلة آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٧، عدد٧، ص٨٠. مصطفى، البيت العربي في العراق في العصر الإسلامي، ص١١٩.

منبطح أبعاده (٠,٨٥×٢,٧٥م)، وزُيّن باطن العقد بزخارف نباتيّة متوّجة بشكل التاج على غرار بواطن العقود السابقة، أمّا أبعاد النافذة التي بجانب الباب فأبعادها (٠,٨٠×٢م)، مكوّنة من قسمين: الأعلى منهما مكسوّ بألواح الزجاج، أمّا الأسفل فمكسوّ بألواح الخشب، وتفتح بطريقة الانزلاق للأعلى والأسفل، أمّا النافذة الثانية فأبعادها (٠,٨٠×٠,٨٠م)، وقد حُوّر الجزء الأسفل من هذا العقد على شكل حنية أبعادها (٠,٨٠×٢م)، أسفلها بئر يُستخرج المياه منها من خلال دلو مربوط بحبل معلّق ببكرة، ثُبّتت على خشبه وضعت بشكل مستعرض، ونعود إلى هذه الحجرة فأبعادها (٣,٦٠×٥,٦٠م)، ويظهر أنّ هذه الحجرة كانت تستخدم لنوم صاحب البيت، إذ ما يزال أثاث غرفة نومه باقيًا.

الطابق العلويّ (مخطّط ٢):

يتمّ الوصول إلى الطابق العلويّ عن طريق ثلاثة أدراج، ذكرناها عند تناولنا الطابق الأرضيّ، أحدها عند المجاز (لوح ٢٠)، والآخر في الضلع الشرقيّ، ويوصل لسطح الطابق الأرضيّ لكونها خالية من البناء في الوقت الحاليّ، وقد عمد صاحب البيت إلى تسقيف الضلعين الشرقيّ والشماليّ من السطح بالصفائح المعدنيّة؛ لغرض عمل ظلّة في هذا الجزء، فضلًا عن حماية الطابق الأرضيّ من أثر الإمطار والعوامل المناخيّة، أمّا الدرج الأخير فيقع في الضلع الغربيّ، ويتمّ الوصول من خلاله الى القسم الشرقيّ من الطابق الأوّل، وسوف نتناول الضلعين الجنوبيّ والغربيّ؛ لكونهما يضمّان الأبنية في حين خلا الضلعين الآخرين.

الضلع الجنوبيّ من الطابق الأوّل:

يتمّ الوصول إلى الطابق العلويّ من خلال الدرج (الأوّل)، الذي يقع قرب المدخل الرئيس في البيت، ويواجه الصاعد منه مدخل أبعاده (١×٣م)، يؤدّي إلى مجاز أبعاده (٨٠ , ١×٥ , ٢م)، ويطلّ هذا المجاز على ساحة صغيرة، يفتح عليها مدخل غرفتين، أبعاد الساحة بلغت (٨٠ , ٤×٦م)، كانت مكشوفة سابقًا، لكن في الوقت الحاضر سقفت بالصفائح المعدنيّة؛ لحماية هذا القسم من الأمطار والعواصف الترابيّة والطيور، الغرفة الأولى (رقم ١٢) التي تطلّ على الساحة الوسطيّة من جهة الغرب لها مدخل أبعاده (١×٢م) عليه باب خشبيّ من مصراعين أبعاده (٩٠ , ٠×٩٠ , ١م)، يؤدّي المدخل لغرفة أبعادها (٥ , ٢×٤م)، ويلاحظ أنّ جدرانها الداخليّة من جهة المجاز والساحة التي تتوسّط هذا الضلع من البناء عُملت من الخشب، ويظهر سبب ذلك لتقليل الضغط والحمل المسلّط على الأجزاء السفلى من البناء، فضلًا عن ذلك دوره في المحافظة على درجات الحرارة المعتدلة في فصلي الصيف والشتاء، وفتح في جدارها من جهة الجنوب شنشول، ضمّ ثلاثة شبابيك مكسوّة بألواح الزجاج الملوّن باللون الأخضر والأزرق فضلًا عن الزجاج الشفّاف، وتوجد على يمين الباب نافذتان تطلّان على الساحة، أبعاد كلّ منهما (٦٠ , ٠×٨٠ , ١م)، ويغطّي كلًّا منهما شبّاك من الخشب أبعاده (٥٠ , ٠×٧٠ , ١م) كلّ منهما مكوّنة من قسمين يفتح بطريقة الانزلاق للأعلى والأسفل (لوح ٢١).

أمّا الغرفة (رقم ١٣) فيمكن عدّها الغرفة الرئيسة في البيت، التي يستقبل فيها الضيوف، وتقع في الجهة الشرقيّة من الضلع الجنوبيّ، وهي أكبر الحجر والغرف في المساحة، فضلًا عن ذلك ضمّت مجموعة من صور الأشخاص من الأسرة،

وذكر صاحب البيت أنّ هذه الصور تعود لمدد زمنيّة مختلفة بعضها للأربعينيّات والخمسينيّات من القرن الماضي، مدخل هذه الغرفة أبعاده (١×٢م)، عليه باب خشبيّ من مصراعين أبعاده (٩٠ , ٠×٩٠ , ١م)، يؤدّي المدخل إلى حجرة مستطيلة الشكل أبعادها (٣٠ , ٣×٢٥ , ٦م)، فتح جدارها الشمال على حنيتين كلّ منهما متوّج بعقد نصف دائريّ أبعاد الواحد (٦٠ , ٠×١م)، وعمق كلّ منهما (٢٥ , ٠م)، وفتح في جدارها الجنوبيّ شنشول ضمّ نافذتين أبعاد الواحدة (٨٠ , ٠×٢م)، أمّا جدارها الشرقيّ فضمّ حنية متوّجة بعقد نصف دائريّ، أبعادها (٧٠ , ٠×٢م) وعمقها (٢٥ , ٠م)، وترتفع عن أرضيّة الغرفة بحدود ربع متر، وبجانب هذه الحنية دخلة مربّعة الشكل، أبعادها (٦٠ , ٠×٦٠ , ٠م) وعمقها (٢٥ , ٠م)، فتح فيها من الأعلى مجرى هوائيّ يرتبط بأعلى السطح عبارة عن بادكير (لوح ٢٢)، وبجانب هذه الدخلة دخلة أخرى أكبر حجمًا أبعادها (١×٥ , ٢م)، وعمقها يشبه الحنية السابقة (لوح ٢٣).

الضلع الغربيّ من الطابق الأوّل:

يتكوّن هذا الضلع من مجاز وغرفة واحدة، ويتمّ الوصول إليه عن طريق المجاز الذي يؤدّي إلى الضلع الجنوبيّ، والمجاز يشغل مساحة مربّعة الشكل طول ضلعها (٥ , ٣م)، واستُخدم الخشب في بناء جدرانها الداخليّة، ويؤدّي هذا المجاز إلى الغرفة (رقم ١٤)، ويتمّ الوصول إليها عن طريق مدخل أبعاده (١×٢م)، عليه باب خشبيّ من مصراعين أبعاده (٩٠ , ٠×٩٠ , ١م)، أمّا أبعاد الغرفة فبلغت (٦٠،٣×٣٠،٤م)، وجدران الغرفة الداخليّة أغلبها من الأخشاب، وقد بيّنا سبب ذلك قبل قليل (لوح ٢٤).

أمّا الضلعان الباقيان وهما الشماليّ والشرقيّ فقد خليا من الأبنية، وهما عبارة عن ساحة خالية.

السطح:

يتمّ الوصول إلى سطح الطابق العلويّ عن طريق الدرج الذي في الضلع الجنوبيّ، وهو مكوّن من (١١) درجة، أبعاد الدرجة الواحدة (٠,٢٠×٠,٤٠×٠,٩٠م)، وينتهي الدرج من الأعلى بغرفة صغيرة (بيتونة)، احتوى السطح على عدد من فتحات البادكيرات التي تميّزت بأنّ لكلّ واحد منها فتحتين إحداهما تتّجه نحو الجنوب، في حين تتّجه الأخرى نحو الشمال؛ ليجتمعا في أنبوب واحد، يتّجه نحو الأسفل ليوصل الهواء في حال هبوب الرياح من الجهة الشماليّة -وهي الغالبة- فتدخل من الفتحة المتّجهة إلى الشمال، أمّا إذا كان اتّجاه الهواء من الجنوب فتدخل من الفتحة المتّجهة إلى الجنوب، وقد وضع صاحب البيت مشبّك حديديّ لحماية تلك الفتحات من دخول الحيوانات إليها، فضلًا عن منع الطيور من بناء بيوت فيها وما تخلّفه من أوساخ وروائح.

رصف السطح بالبلاطات (الفرشيّ) أبعاد الواحدة (٠,٢٥×٠,٢٥×٠,٥م)، ويحيط بالسطح ستار ارتفاعه (١,٥م)، من الجهات الشرقيّة والغربيّة والشماليّة، أمّا من الجهة الجنوبيّة فوضع ستار من صفائح الحديد، ويبدو أنّ سبب ذلك تقليل الثقل المسلّط على هذا الجزء من البيت؛ لكونه يعلو الجزء المتقدّم من البيت والمتمثّل بالشنشول.

الخاتمة

يظهر من خلال ما تقدّم من دراسة العناصر التخطيطيّة والعماريّة لبيت الحاجّ عبد اللطيف عليّ محمّد في مدينة السماوة، أنّ بناء البيت يعود إلى العشرينيّات من القرن الماضي من خلال ما بيّنه صاحب البيت، فضلًا عن العناصر التخطيطيّة والعماريّة التي كانت سائدة وظهرت في هذا المبنى، أمّا مادة بنائه فكانت الآجرّ والجصّ فضلًا عن استخدام الأخشاب في تسقيف طابقي البيت وبعض الجدران في الطابق العلويّ، أمّا الروافد الحديديّة (الشيلمان) فاستُخدمت في أجزاء قليلة من البيت، إذ استُخدم في تسقف حجرة السرداب وبطريقة العقادة.

وتبيّن أنّ تخطيط البيت اتُّبع فيه التخطيط المتّبع في أغلب البيوت العراقيّة التراثيّة من ناحية استخدام المجاز المنكسر والساحة الوسطيّة التي تنفتح عليه جميع أبواب حجر وغرف البيت ونوافذها، واستُخدمت للكثير من النشاطات اليوميّة لسكنة البيت، إذ استُخدمت مركزًا لتوزيع الحركة من خلاله إلى وحدات البيت المختلفة، وإيصال النور والهواء إلى مرافق البيت، فضلًا عن استخدامها في بعض المناسبات المختلفة، ومكانًا لحفر بئر صغيرة أو أحيانًا تضمّ حديقة صغيرة (بقجة)، ومن المميّزات العماريّة في هذا البيت استخدام أكثر من نوع من أنواع السراديب، فتارة نرى السرداب قليل العمق الذي استخدم مكانًا للطبخ أو حفظ بعض المواد، وتارة أخرى استخدم السرداب العميق؛ لغرض السكن في أوقات السنة التي تكون فيها درجات الحرارة عالية.

وتظهر براعة المعمار العراقيّ في البيوت التراثيّة بشكل عامّ وبيت الحاجّ عبد اللطيف بشكل خاصّ في استغلال المساحات بأكبر قدر ممكن من خلال بناء الغرف المعلّقة،

فظهرت في هذا البيت غرفتان معلّقتان إحداهما تعلو المجاز الذي يقع خلف المدخل، والثانية تقع في الضلع الشرقيّ، وهذه الظاهرة العماريّة من مميّزات البيوت العراقيّة وتسمّى هذه الغرفة (الكفشكان)، وتستخدم لسكن كبار السنّ أو أحيانًا تكون لسكن صاحب البيت، وأحيانًا أخرى تستخدم لحفظ الأثاث والموادّ المهمّة.

وتبيّن من خلال الاطّلاع على عمارة البيت استخدام الأخشاب بكثرة سواء في تسقيف الحجر والغرف، فضلًا عن بناء بعض الجدران وشناشيل البيت في الطابق العلويّ، ويظهر أنّ سبب ذلك هو خفّة وزن الأخشاب مقارنة بالآجرّ والجصّ، فضلًا عن كونها عازلًا جيّدًا للحرارة في فصل الصيف، واستُخدمت الأخشاب في الأبواب والنوافذ التي كان أغلبها من النوع المنزلق والتي تتميّز بأنّها شديدة الإغلاق.

ومن المميّزات الفنّيّة في تزيين جدران هذا البيت استخدام أنواع متعدّدة من الزخارف؛ لغرض كسر الجمود وإظهار البيت أمام أعين ساكنيه بصورة جميلة، فاستخدمت الزخارف المنفّذة بطريقة الصبّ بالقالب، التي حملت مواضيع زخرفة نباتيّة قوامها أشكال فروع نباتيّة وأوراق وورود ومراوح نخيليّة وأنصافها، فضلًا عن الأوراق الجناحيّة والكأسيّة التي هي على هيئة بصليّة ورمحيّة شبيهة بنصال الرماح او السهام، فضلًا عن ذلك واجهة البيت التي تعكس الفخامة والأهمّيّة لصاحب البيت.

قائمة المصادر

١. ابن سيده، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ)، المخصّص، القاهرة، ١٩٠٣.

٢. الاصفهانيّ، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داووديّ، دمشق، دار القلم، ٢٠٠٩.

٣. الآلوسيّ، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمّد بهجة الأثريّ، القاهرة، دار الكتاب المصريّ، د. ت.

٤. بابان، جمال، أصول أسماء المدن والمواقع العراقيّة، بغداد، مطبعة الأجيال، ١٩٨٩.

٥. باقر، طه، مقدّمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، دار الوراق، د.ت.

٦. البزركان، رفعت رؤوف، معجم الألفاظ الدخيلة في اللهجة العراقيّة الدارجة، بغداد، مطبعة الأمراء، ٢٠٠٠.

٧. الحداد، محمّد حمزة إسماعيل، دراسة المصطلحات الفنّيّة للعمارة الإسلاميّة في ضوء كتابات الرحّالة المسلمين ومقارنتها بالنقوش الآثاريّة والنصوص الوثائقيّة والتاريخيّة، ط ٣، القاهرة، زهراء الشرق، ٢٠٠٨.

٨. حسن، حميد محمّد، « العناصر المعماريّة في البيت العراقيّ »، مجلّة آفاق عربيّة، بغداد، ١٩٨٧، العدد٧.

٩. الحسنيّ، عبد الرزاق، العراق قديمًا وحديثًا، بيروت، دار الرافدين، ٢٠١٣.

١٠. حسّون، لطيف تايه، تخطيط وعمارة القصور التراثيّة في وسط وجنوب العراق

حتّى نهاية العهد الملكيّ ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) مقدّمة الى كلّيّة الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٩.

١١. الحلبيّ، طوبيا العنيسيّ، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربيّة مع ذكر أصلها بحروفه، ط٢، مصر، ١٩٣٢.

١٢. حمّوديّ، خالد خليل، العمارة البغداديّة ومعالجة الظروف المناخيّة، ندوة العمارة والبيئة، بغداد، منشورات المجمع العلميّ العراقيّ، ٢٠٠١.

١٣. الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ البغداديّ، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٧٧.

١٤. الحنفيّ، جلال الدين، معجم اللغة العامّيّة البغداديّة، بغداد، مطبعة أسد، ١٩٦٦.

١٥. خسارة، معجم الكلمات المصطلحيّة في لسان العرب، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، د. ت.

١٦. الدرّاجيّ، حميد محمّد حسن، البيت العراقيّ في العصر العثمانيّ عناصره العماريّة والزخرفيّة، بغداد، دار الشؤون الثقافيّة، ٢٠٠٨.

١٧. رزق، عاصم محمّد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلاميّة، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠.

١٨. رويتر، أوسكار، البيت العراقيّ في بغداد ومدن عراقيّة أخرى، ترجمة محمود كبيبو، لندن، دار الورّاق، ٢٠٠٦.

١٩. عبد الرسول، سليمة، المباني التراثيّة في بغداد دراسة ميدانيّة لجانب الكرخ، بغداد، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٧.

٢٠. العسكريّ، أبو هلال، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق عزّة حسن، دمشق، مطبعة مجمع اللغة العربيّة، ١٩٦٩.

٢١. عليّ، فاروق محمّد، الاستحكامات الدفاعيّة في تخطيط المدن والعمارة العربيّة الإسلاميّة في العراق حتّى نهاية العصر العباسيّ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، قسم الآثار، كلّيّة الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦.

٢٢. القصيريّ، اعتماد يوسف، الخصائص التخطيطيّة والعماريّة للبيت البغداديّ خلال فترة الحكم العثمانيّ، بيروت، مؤسّسة مصر مرتضى للنشر، ٢٠١٢.

٢٣. اللاميّ، علاء حسين جاسم، المباني التراثيّة البغداديّة (١٣٣٩-١٣٧٧هـ/ ١٩٢١-١٩٥٨م) (القصور والدور)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، مقدّمة إلى كلّيّة الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٥.

٢٤. لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الأحمد، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٠.

٢٥. محمّد، رفعت موسى، الوكالات والبيوت الإسلاميّة في مصر العثمانيّة، القاهرة، الدار المصريّة اللبنانيّة للنشر، ١٩٩٣.

٢٦. المختار ، فريال داود ، السرداب العراقيّ، مجلّة كلّيّة الآداب، جامعة بغداد ، ١٩٧٦، العدد ٢٠.

٢٧. مصطفى، فريال، البيت العربيّ في العراق في العصر الإسلاميّ، بغداد، دار الحريّة، ١٩٨٣.

٢٨. المعاضيديّ، عادل عارف، الواجهات الفنيّة والعماريّة للدور التراثيّة في الموصل،

رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم الآثار، كلّيّة الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

٢٩. الميالي، رجوان فيصل، أسوار السماوة في العصرين العثمانيّ والبريطانيّ، مجلّة أوروك للعلوم الإنسانيّة، جامعة المثنّى، المجلّد ١٦، العدد الأوّل.

٣٠. هلال، زينب عبد الله، البيوت التراثيّة في محافظة البصرة (دراسة ميدانيّة/ عماريّة وفنّيّة)، بغداد، ٢٠١٢.

٣١. الياور، طلعت، الرواشن (الشناشيل) في عمارة البيت العراقيّ، وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين، منشورات المجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ٢٠٠١.

32. Krunic.Jovan . Art Architectural Traditions and New Architecure of Iraq . The House of Baghdad its Old and Modern Concept . Sumer . Vol . 18 . 1962.

(مخطّط ١) الطابق الأرضيّ

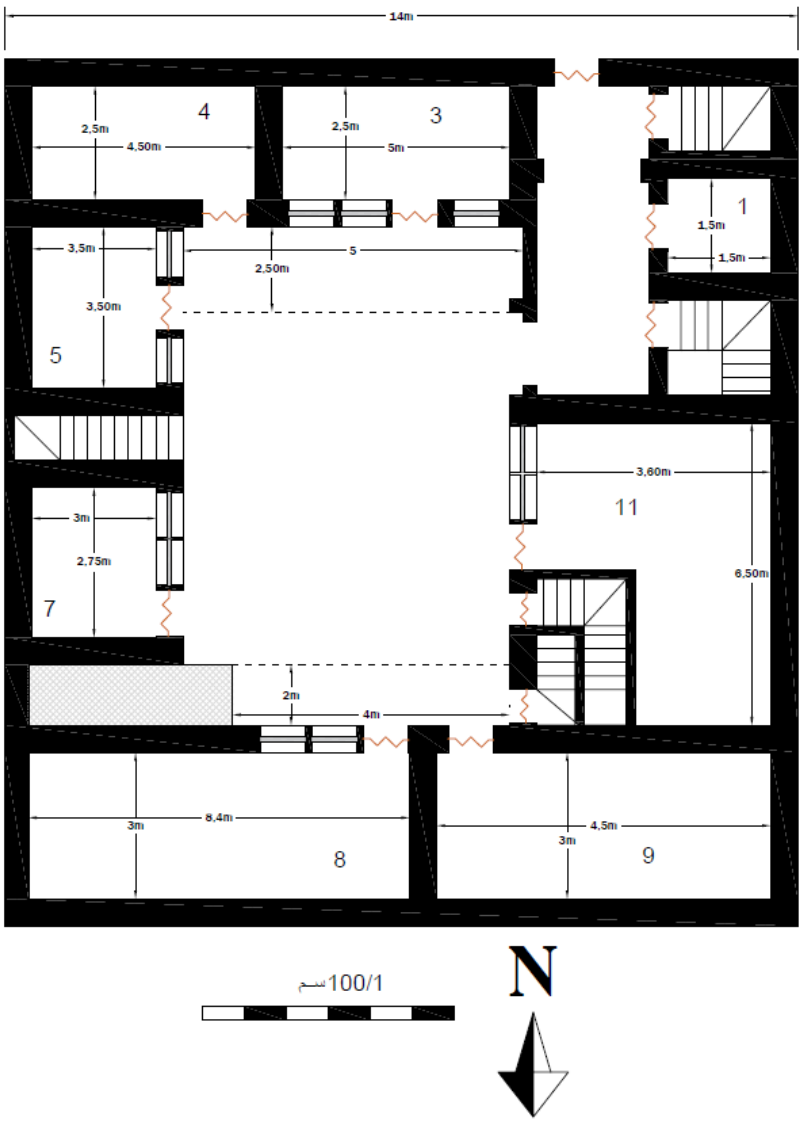

(مخطّط٢) الطابق العلويّ

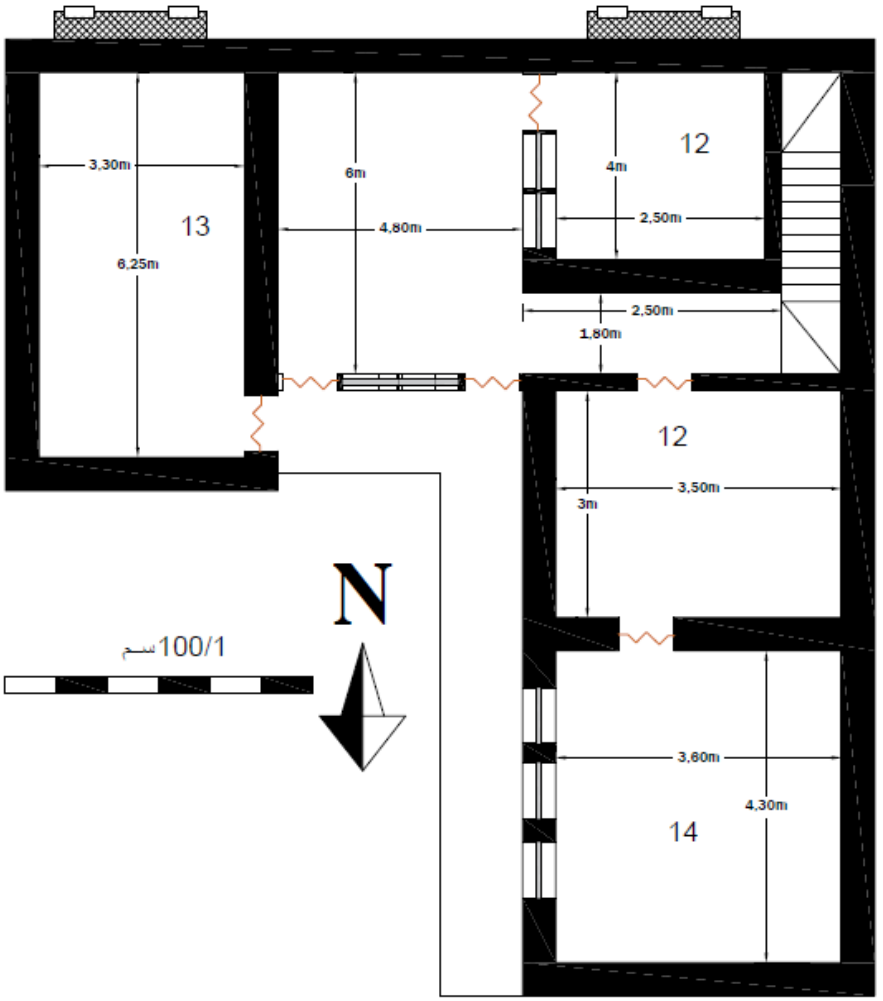

(اللوح١) الواجهة الخارجيّة

(اللوح ٢) المدخل

(اللوح٣) المجاز

(اللوح٤) الغرفة المعلّقة

(اللوح٥) نوافذ الغرفة المعلّقة

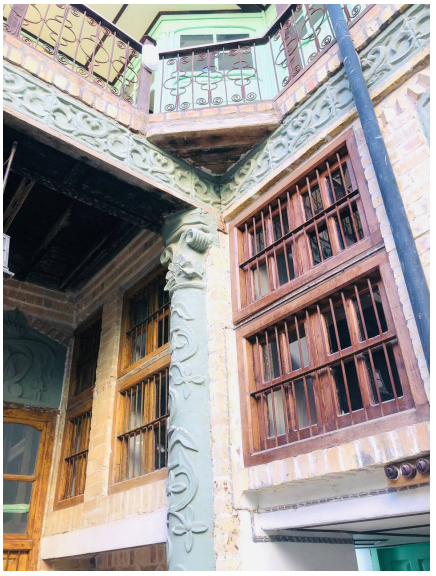

(اللوح٦) البئر

(اللوح٧) أرضيّة الساحة الوسطيّة

(اللوح٨) الضلع الجنوبيّ

(اللوح٩) شكل التاجّ في يتوّج العقود

(اللوح١٠) الضلع الشرقيّ

(اللوح١١) الحنية في الحجرة (رقم٥)

(اللوح١٢) الغرفة المعلّقة في الضلع الشرقيّ

(اللوح١٣)
حجرة السرداب في الضلع الشرقيّ

(اللوح١٤) الضلع الشماليّ

(اللوح١٥) زخارف نباتيّة متوّجة بشريط من أسنان المنشار

(اللوح١٦) حنايا إحدى حجر الضلع الشماليّ

(اللوح١٧) الضلع الغربيّ

(اللوح١٨) السرداب في الضلع الغربيّ

(اللوح١٩) نوافذ السرداب في الساحة الوسطيّة

(اللوح٢٠) الدرج

(اللوح٢١) نوافذ الشناشيل

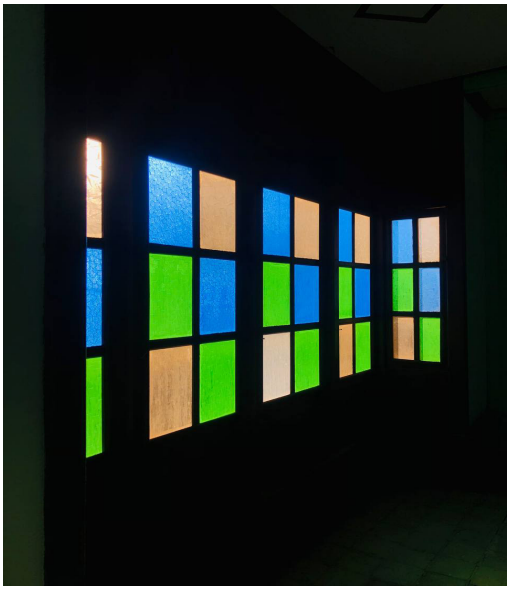

(اللوح٢٢) البادكير

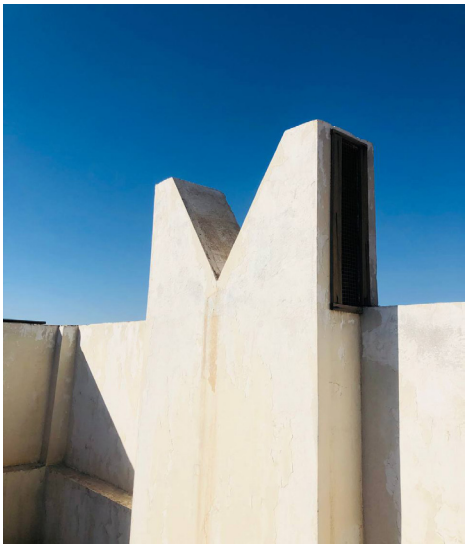

(اللوح٢٣) الغرفة (رقم١٤)

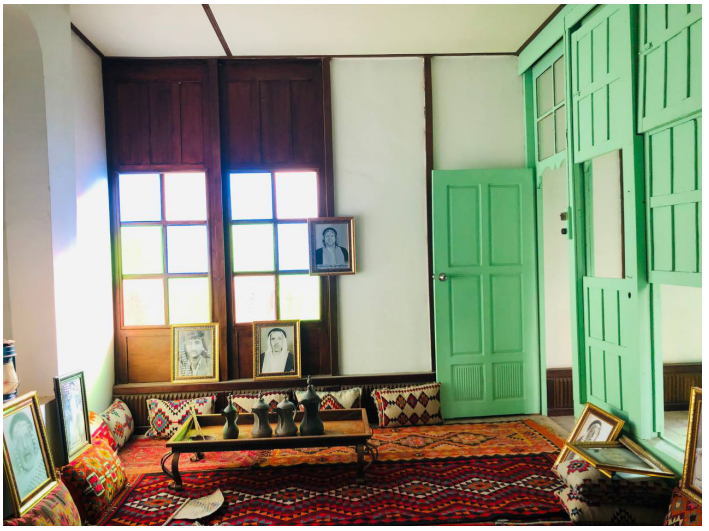

(اللوح٢٤) الضلع الغربيّ في الطابق العلويّ